السياق المفهوم والأبعاد

الكلمات المفتاحية: السياق ، المفهوم ، الأبعاد

بحث مستل من اطروحة دكتوراه

عمر عواد عبدالله
جامعة ديالى/كلية التربية للعلوم الإنسانية
profibraheemaa@yahoo.com

ا٠د٠ابراهيم رحمن حميد
جامعة ديالى/كلية التربية للعلوم الإنسانية
omer1974om@gmail.com

تاريخ استلام البحث ٢٠٢١/٧/٦ تاريخ قبول نشر البحث ٢٠٢١/٨/١

الملخص:

تُشَكِّلُ اللّسانياتُ اليوم حَقلًا واسعًا لبَحثِ القضايا اللّغوية ودراستها ، سواءٌ كان مِن الناحيةِ الّتي تَظهَرُ فيها أطرافُ ومُرَكَّباتِ الخطاب، أو مِن الناحيةِ الّتي تَتَعَلَّقُ بالظروفِ والمُلابَساتِ الّتي يُمكِنُ أنْ تُحيطَ به وتُؤَثِّرُ على الأداءِ اللّغوي المُصاحِب له؛ إذ يَبرزُ مُصطَلَحُ السياقِ في هذا الحَقلِ بوصفه أَحَدَ المُصطَلَحاتِ المَركزيَّةِ في مَجالِ البحثِ اللّساني؛ إذ لا يَظهَرُ المَعنى اللّغوي للمُفرَدَةِ أو العبارَةِ على أيِّ مُستَوى مِن المُستَوَياتِ اللّغوية: (الصّوتي، الصّرفي، التّركيبي – النّحوي، المُعجَمي – الدلالي) إلّا عن طريقِ تَميّزِه السّياقي مِن مُقابلاتِه الّتي يُمكِنُ أنْ تَقَعَ مَوقعَه في ذلك السّياق.

المقدمة

الحمد لله رب العالمي ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين ، وعلى الهِ الطاهرين وصحبه الميامين أما بعد :

فتتداخلُ لمستويات المُختلفة للرسالة اللغوية بشكلS عضوي حتى وإنْ بدَت هذه المستويات كوحداتٍ مُستقلة، لأنَّ الغاية النهائية من الرسالة اللغوية هي إيصال المعنى في سياقٍ يُسهم في إنتاج الدّلالة وإظهارها ، ولاسيما أنَّ "الحقائق التي يتمُّ الوصولُ إليها بواسطة التحليل على هذه المستويات هي حقائقُ جزئية بالنسبة إلى المعنى الدلالي، وذلك لأنَّها إمّا أنْ تكون وظائف كما في الصّوتيات والصرف .

ولبَيانِ مَفهومِ السياقِ على نَحوٍ واضحٍ لابُدَّ مِن التدرّجِ في بيانِ الأصلِ اللّغوي للمُفردَةِ والمَعاني المُعجَميَّةِ المُتَّصِلَةِ بِها، ومِن ثَمَّ استقراءُ العَلاقَةِ بَينها وبين المَفهومِ الاصطلاحي، مع الأخذِ بتَعَدّديَّةِ التعريفاتِ الاصطلاحيَّةِ بين القُدَماءِ والمُحدَثين مِن الباحثينَ العَرَب، والمَفهومُ الاصطلاحي للسياقِ في اللّسانياتِ الغربيَّةِ.

لهذا جاء بحثي : (السياقُ : المفهومُ الأبعاد) ، تناولت فيه حقيقة السياق من حيث الأبعاد والمفاهيم .

مَفهومُ السياق:

لبَيانِ مَفهومِ السياقِ على نَحوٍ واضحٍ لابُدَّ مِن التدرّجِ في بيانِ الأصلِ اللّغوي للمُفردَةِ والمَعاني المُعجَميَّةِ المُتَّصِلَةِ بِها، ومِن ثَمَّ استقراءُ العَلاقَةِ بَينها وبين المَفهومِ الاصطلاحي، مع الأخذِ بتَعَدّديَّةِ التعريفاتِ الاصطلاحيَّةِ بين القُدَماءِ والمُحدَثين مِن الباحثينَ العَرَب، والمَفهومُ الاصطلاحي للسياقِ في اللّسانياتِ الغربيَّةِ.

السياق في اللغة، مِن (س و ق)؛ قالَ ابنُ فارس: "السين والواو والقاف أصلٌ واحدٌ، وهو حَذوُ الشَّيءِ، يُقالُ: ساقَه يَسوقُه سَوقًا، والسّيقَةُ: ما استيقَ مِن الدَّوابِ، ويُقالُ: سُقْتُ إلى امرَأَتي صَداقَها وأَسَقْتُهُ، والسّوقُ مُشتَقَّةٌ مِن هذا؛ لِما يُساقُ إلَيها مِن كُلِّ شَيءٍ، والجَمْعُ أسواق، والسّاقُ للإنسانِ وغَيرِهِ، والجَمْعُ سُوق، وإنَّما سُمّيَتْ بِذلكَ لأنَّ الماشي يَنساقُ عَلَيها[١] .

وفي لسانِ العَرَبِ: "يُقالُ له السّياقُ وأصلُهُ سِواق، فَقُلِبَتِ الواوُ لِكَسرَةِ السّينِ، وهُما مَصدرانِ مِن ساقَ يَسوقُ؛ ومِنه قولُه تعالى: (وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ) [2]؛ وقِيلَ في التَّفسيرِ: سائِقٌ يَسوقُها إلى مَحشَرِها.[3]

وفي أساسِ البلاغَةِ للزمخشري: "ومِن المَجازِ: ساقَ اللهُ إلَيه خَيرًا. وساقَ إلَيها المَهر؛ وساقَتِ الرّيحُ السَّحابَ (...)، والمُحتَضر يَسوقُ سياقًا، وفلانٌ في ساقَةِ العَسكَرِ: في آخرِهِ، وهو جَمْعُ سائِق كقادَة في قائِد، وهو يُساوِقُه ويُقاوِدُهُ وتَساوَقَتِ الإبِلُ: تَتَابَعَتْ، وهو يَسوقُ الحَديثَ أحسَنَ سِياق؛ إلَيك يُساقُ الحَديث، وهذا الكلامُ مَساقَةٌ إلى كذا، وجِئتُكَ بالحَديثِ على سُوقِهِ: على سَرْدِهِ (..)، وقامَتِ الحَربُ على ساقِها، وكَشَفَ الأمرُ عن ساقِه"[٤].

وفي جَمهَرَةِ اللّغةِ، يَقولُ ابنُ دُرَيدٍ في مادَةِ (سَوَقَ): "السّوقُ: مَصدَرُ سُقْتُ البَعيرَ وغيرَه، أسوقُ سَوقًا والسّوقُ: غِلظ السّاقين، وَرجلٌ أسوَقُ وامرأَةٌ سَوقاء، والسّوقُ مَعروفَةٌ، تُؤَنَّثُ وتُذَكَّرُ، وأصلُ اشتقاقِها: سَوقُ النّاسِ إلَيها بَضائِعَهم، وسُوَيقَة: مَوضعٌ مَعروف"(٥).

وقد جُمعَتْ هذه المعاني في المُعجَمِ الوَسيط، إذ جاء فيه: "ساقَ المَريضُ سوقًا وسياقًا، وسياقة، ومساقًا: شرَعَ في نَزعِ الرّوح (...) ويُقال: ساقَ اللهُ إلَيه خَيرًا ونَحوه: بَعثَهُ وأرسَلَهُ، وساقَتْ الرّيحُ التُّرابَ والسّحاب: رفَعَتهُ وطَيَّرَته. وساقَ الحَديثُ: سَرَدَهُ وسَلسَلَه، وإلَيكَ يُساقُ الحَديثُ: يُوَجَّه؛ والسّياقُ: المَهر، وسياقُ الكَلام: تَتابُعَه وأسلوبَه الّذي يَجري عليه، والنَّزعُ يُقالُ: هو في السّياقِ: الاحتضار"(٦) .

يَتَبَيَّن مِمّا تَقَدَّم، أنَّ المَعنى اللّغوي للسياقِ يَدورُ في عِدَّةِ مَعانٍ، مِنها التَّتابعُ والاتصال، ويَعني أسلوبَ الحَديث، وتَتابُعِه مُتَتاليًا حَسِنًا؛ فالسياقُ مِن الناحيةِ اللّغويةِ يَعني التَّتابع والانقياد والاتصال، وهي المَعاني الّتي تُفيدُ التَّماسُكَ وتَتابُعَ المُفرَداتِ وتَناسقها على التَّوالي والتَّتابع، ومِن المَجازِ –بِحَسبِ الزمخشري– يكونُ السياقُ "وَصفًا للأسلوبِ والغَرَضِ والغايَةِ"(٧)، ولِهذا دَلَّ السّياقُ عندَ اللّغويينَ القُدامى على اتّساقِ الألفاظِ والتّراكيب.

السياق اصطلاحًا:

أمّا تعريفُ السياقِ مِن الناحيةِ الاصطلاحيَّةِ، فلابُدَّ مِن التنويهِ أولًا إلى أنَّ هذا المُصطلَح لم يَكُنْ مَوجودًا بهذا الوضوحِ في التراثِ العربي القديم، وإنْ وُجِدَ ما يُقابِلُه ويَحمِلُ المدلولَ نفسَه، على الرَّغمِ مِن أنَّ اللّغويينَ القُدامى استعمَلوا الكلمةَ بِحَدِّ ذاتِها فأنَّهم لم يَستَعملوها بوصفها مُصطلَحًا، ولم يَضَعوا له تَعريفًا مُحَدَّدًا(٨)، وإنَّما أخَذَ المُحدَثون هذا المُصطلَحَ مِن الغَربِ، ترجمَةً للمُصطلَحِ (Context)، فالمُصطلَحُ نفسُهُ هو وَليدُ عِلمِ الدلالَةِ اللّغوية (٩).

يُعَدُّ مُصطلَحُ السياقِ في الدراساتِ اللّغوية الحديثةِ مِن المُصطلَحاتِ الّتي يَصعبُ تَحديدُها على نحوٍ مِن الدِّقَّةِ، بالرَّغمِ مِن أنَّه يُمَثِّلُ نظريةً دلاليَّةً تُعَدُّ مِن أكثرِ نَظريّاتِ علمِ الدلالَةِ تَماسكًا وضَبطًا مَنهجيًا.(١٠)

للسياق في المَعاجمِ اللّسانيَّةِ الغربيَّةِ عدة تعريفات، منها أنَّه "مَجموعُ النّصوصِ الّتي تَسبقُ أو تُواكِبُ وحدَةً تركيبيَّةً مُعَيَّنةً، وتَتَعَلَّقُ بها الدلالَة، حيث يُمكنُ أنْ يكونَ السياقُ صريحًا

أو لسانيًا، ويُمكِنُ أنْ يكونَ ضِمنيًّا، وفي هذه الحالَةِ يَتَمَيَّزُ بأنَّه سياقٌ خارجُ لِسانيّ أو مَقاميّ؛ وفي تعريف آخر هو: "المُحيط؛ أي الوحدات الّتي تَسبِقُ أو تَلحَقُ وحدَةً مُحَدَّدَةً، ويُسمى بالسياقِ الشّفوي؛ كما يُعرَّفُ بأنَّه: مَجموعُ الشروطِ الاجتماعيَّةِ الّتي يُمكِنُ أنْ تُؤْخَذَ بِعَينِ الاعتبارِ لِدراسَةِ العَلاقاتِ القائمَةِ بينَ السلوكِ الاجتماعي والسلوكِ اللّساني؛ ويَتَحَدَّدُ السياقُ في الغالبِ بالسياقِ الاجتماعي لاستعمالِ اللّغةِ، ونَقولُ أيضًا المَقام، وهو مَجموعُ المُعطَياتِ المُشتَرَكَةِ بينَ المُتَكَلِّمِ والمُستَمِعِ في مَقامٍ ثَقافيٍّ ونَفسيٍّ لِتَجاربِ ومَعارِفِ كُلٍّ مِنهُما".(١١)

يَرى فيرث أنَّ المَعنى لا يَنكَشِفُ إلّا عن طريقِ تَسييقِ الوحدَةِ اللّغويةِ، أي بوَضعِها في سياقاتٍ مُختَلفَةٍ، فَمُعظَمُ الوحداتِ الدلاليَّةِ تَقَعُ في مُجاوَرَةِ وحداتٍ أخرى، ومِن ثَمَّ فإنَّ مَعانيها لا يُمكنُ تَحديدها إلّا بأخذِ الوحداتِ الأخرى المُجاورةِ لها بنَظَرِ الاعتبار(١٢) فالمَعنى في نَظَرِ فيرث هو وظيفةٌ في السياقِ، وهو ما عُدَّ تَحوّلًا في النَّظرِ إلى المَعنى، بعد أنْ كان يُوصَفُ بأنَّه عَلاقَةٌ بينَ اللّفظِ وما يُحيلُ عليهِ في الخارجِ أو الذّهنِ مِن حقائِقَ وأحداث، تِلكَ النَّظرَةُ الّتي كانتْ سائِدَةً في الفلسفةِ الغربيَّةِ التقليديَّةِ بعدَ الفلسفَةِ اليونانيَّة.(١٣)

والسياقُ عند هالداي هو "النَّصُ الآخَر، أو النَّصُ المُصاحِبُ للنَّصِ الظاهر، والنَّصُ الآخَرُ لا يُشتَرَطُ أنْ يكونَ قوليًا، إذ هو يُمَثِّلُ البيئة الخارجية للبيئةِ اللّغويَّةِ بأَسْرِها، وهو بِمثابَةِ الجسرِ الّذي يَربِطُ التَّمثيلَ اللّغوي ببيئتِه الخارجيَّة"(١٤).

وفي المَعاجِمِ اللّسانيَّةِ العربيَّةِ، عُرِّفَ السياقُ بأنَّه: " البيئةُ اللّغويَّةُ الّتي تُحيطُ بِصَوتٍ، أو فونيم، أو مورفيم، أو كلمةٍ، أو عبارةٍ، أو جملةٍ "؛ في حين تعرف نظريّةُ السياق بأنَّها النظريَّةُ الّتي تَتَّجِهُ إلى "تَفسيرِ مَعنى الكلمَةِ حَسْبَ السياقِ الّذي تَقَعُ فيه"(١٥).

أمّا في اصطلاحِ الباحثينَ العَرَبِ المُحدَثين، فقد عَرَّفَ تَمّامُ حَسّان السياقَ بأنَّه: "ما انتَظَمَ من القرائن الدّالّة على المَقصودِ مِن الخطابِ، سواء كانَتْ القرائِنُ مَقاليَّةً أو حاليَّةً"(١٦).

وعَرَّفَهُ آخَرُ بأنَّه "عَلاقَةٌ لُغَويَّةٌ أو خارِجُ نِطاقِ اللّغَةِ، يَظهَرُ فيها الحَدَثُ الكَلاميّ"(١٧).

وجَرى تَعريفُ السياقِ بأنَّه: "القرائِن الّتي تُسهِمُ في عمليَّةِ الفَهمِ، لُغَويَّةً كانَتْ أم غَير لُغَويَّة"(١٨).

ومِن الباحثِين المُحدَثين مَن عَرَّفَ السياقَ بأنَّه: "النَّظمُ اللّفظيّ للكلمَةِ ومَوقعُها مِن ذلكَ النَّظم؛ فالسياقُ على هذا التّفسيرِ ينبغي أنْ لا يَشملَ الكلماتِ والجُمَلَ الحقيقيَّةَ السابقَةَ واللّاحقَةَ فَحَسْب، بل والقطعَةَ كُلَّها والكتابَ كُلَّه، كما ينبغي أنْ يَشملَ – بوجهٍ مِن الوجوهِ– كُلَّ ما يَتَّصلُ بالكلمَةِ مِن ظروفٍ ومُلابَساتٍ. والعَناصرُ غيرُ اللّغويَّةِ المُتَعَلِّقَةِ بالمَقامِ الّذي تُنطَقُ فيه الكلمَةُ لها أهميَّتُها البالغَةِ في هذا الشأنِ"[١٩].

ويُعَرَّفُ السياقُ كذلك بأنَّه: "المناخُ أو الجَوُّ العام الّذي يَتمُّ فيه الحَدَثُ الكلاميّ، فهو يشمل الزمانَ، والمَكانَ، والمُتَكَلِّمَ، والسامِعَ، والأفعالَ الّتي يَقومونَ بِها، ومُختَلَفَ الأشياءِ والحَوادثِ الّتي لَها صِلَةٌ بالحَدَثِ الكَلامي، ويَتَّسِعُ السياقُ ليَشمِلَ المَعرفَةَ المُشتَرَكَةَ بين المُتَكَلِّمِ والسامعِ لِكُلِّ ما لَهُ عَلاقَة بِفَهمِ المَنطوق، كما يَتَّسِعُ لِيَشمِلَ القَبولَ الضِّمني مِن قِبَلِ المُتَكَلِّمِ والسامِعِ لِكُلِّ الأعرافِ الّتي لَها عَلاقَة بالموضوعِ والاعتقاداتِ والمُسَلَّماتِ السابقَة"[٢٠].

المُصطَلَحاتُ المُتَّصِلَةُ بالسّياقِ:

يَتَبَيّنُ مِمّا سَبَقَ أنَّ نَظريَّةَ السياقِ تَبدو في إطارِها العامّ مِن مُنجَزاتِ عِلمِ الدلالَةِ الحَديثِ، إلّا أنّ لَها في حَقيقَةِ الأمرِ جذورًا تَمتَدُّ إلى الجهودِ الّتي قَدَّمَها اللّغويّونَ العَرَبُ القُدامى، فقَد أوْلوا عنايَةً بالغَةً بدراسَةِ النّصوصِ وتَحليلِها، وانتَبَهوا فِعلًا إلى أهميَّةِ السياقِ؛ فإذا كان مُصطَلَحُ السياقِ عندَ اللّغويين المُعاصرين يُشيرُ إلى الإطارِ الّذي جَرى فيه الكَلامُ بينَ شَخصَينِ أو أكثرَ، ويَشمِلُ زَمَنَ الكَلامِ والمَفاهيمَ المُشتَرَكَةَ والكَلامَ السابِقَ للمُحادَثَةِ، ويُرادِفُه القرينة[٢١]؛ فإنَّ اللّغويينَ العَرَبَ القُدامى استَعمَلوا مُصطَلَحاتٍ تَحمِلُ هذا المَفهومُ، وتَتَقارَبُ مَعَه على نَحوٍ وَثيقِ الصِّلَةِ للغايَة، ومِنها: سياقُ الحالِ (المَقام)، النَّظم، المُناسَبة، ويُمكِنُ بيان ذلك على النَّحوِ الآتي:

أ– سياقُ الحالِ (المقام): سياقُ الحالِ أو المَقامِ مُصطَلَحانِ يُشيرانِ إلى مَفهومٍ واحد، عبَّر عَنه البلاغيون العرب بقولِهم: لِكُلِّ مَقامٍ مَقال[٢٢]؛ وفي قولِهم: "لِكُلِّ كلمَةٍ مع صاحبَتِها مَقام، كلامٌ عن الاهتمامِ بالصحَةِ الداخليةِ للنَّصِ المُعَبَّرِ عَنها بالمَعيَّةِ الّتي تُفيدُ وجوبَ مُراعاةِ الرَّبطِ والسَّبكِ بين وحداتِ النَّصِ، وهو ما يُشارُ إلَيه بالسياقِ اللغوي"[٢٣].

لقد استعملَ البلاغيون العَرَبُ القُدَماءُ تَعبيرَ (مُقتَضى الحال)، وهو التَّعبيرُ الّذي يُعَدُّ الجاحظُ مِن أوائِلِ مَن أسَّسوا له، مُشيرًا إلى أهميَّةِ القراءةِ السياقيَّةِ للقرآنِ الكريم، الّتي تَربطُ

النَّصَ القرآني بالمَقام بِهَدَفِ الكَشفِ عن الاستعمالاتِ المُختَلفَةِ للّغةِ وتَفسيرِ الرّؤى المُختَلِفَةِ لِلعالَم[٢٤]. وذكر الرّازي على أنَّ "القرينَةَ الحاليَّةَ تَشمِلُ حالَ المُتَكَلِّمِ مِن حيث الصدق والكَذب، والهيئات المَخصوصَة القائمَة به، وخصوصِ الواقعَة الّتي وَرَدَ فيها الخطاب"[٢٥].

اهتَمَّ المُفَسِّرون بسياقِ الحالِ كاهتمامِهم بأسبابِ النزول الّتي أوْلُوها عنايَةً بالغةً؛ لأنَّ الوصولَ إلى المَعنى يَتَطَلَّبُ بالأساسِ مَعرفَةَ عناصرِ سياقِ الحالِ بوساطَةِ سَبَبِ النزول، وجَعَلوا مِن شروطِ تَفسيرِ القرآنِ الكريمِ المَعرفَة بأسبابِ النزولِ وسياقِ الحالِ[٢٦].

كذلك أسهَمَ النَّحَويّونَ في هذا المَجال، وقالوا بضرورَةِ مُراعاةِ الأحوالِ المُحيطَةِ بِكُلٍّ مِن المُتَكَلِّمِ والمُخاطَب، وأرسَوا دَعائِمَ مَعنويَّةً عَبَّرَتْ عن مقاصدِ المُتَكَلّمين في المَيادينِ المُختَلِفَةِ، مِنها الّتي يَدَّعي المُحدثَون أنَّهم قد ابتَكروها أو خاضوا فيها أوَّل مَرّةٍ[٢٧]؛ فقد فَطَنَ النَّحويون القُدامى إلى أنَّ الكلامَ له وظيفةٌ ومَعنىً في عمليَّةِ التواصلِ الاجتماعي، وأنَّ تِلكَ الوظيفةَ وذلك المَعنى مُرتَبطانِ على نَحوٍ وَثيقٍ بسياقِ الحالِ (المَقام)، وما فيه مِن شخوصٍ وأحداثٍ، فقد ظَهَرَ هذا كُلُّهُ في دراسَتِهم وإنْ لم يَنصّوا عليه بوصفِهِ مَبدأً مِن مَبادئ التقعيدِ أو أصلًا مِن أصولِ نَظريَّتِهم اللّغوية[٢٨].

أمّا في العصرِ الحَديثِ فقد كانَتْ البداياتُ الأولى لنَشأَةِ مُصطَلَحِ سياقِ الحالِ عند بلومفيلد الّذي رَبَطَ بين الدلالَةِ والسياق، وعَدَّ أنْ لا قيمَةَ للألفاظِ حينَما تَرِدُ خارجَ استعمالِها وتَداولِها[٢٩]؛ واهتَمَّ بالعَلاقَةِ بينَ المُتَكَلِّمِ والسّامِعِ بالتّحليلِ، فَجَعَلَ الكلامَ بَديلًا مِن استجابَةٍ عضويَّةٍ لِمُثيرٍ مُعَيَّن.[٣٠]

وعلى الرَّغمِ مِن أنَّ بَعضَ مَلامحِ النَظريَّةِ السياقيةِ كانتْ قد ظَهَرَتْ عندَ رُوّادِ مدَرسَةِ لندن في القرنِ العشرين، ولاسيما عند مالينوفسكي؛ إلّا أنَّ النَّظريةَ صارَتْ تُنسَبُ إلى فيرثِ الّذي رأى وجوبَ اعتمادِ كُلِّ تَحليلٍ لُغويٍّ على سياقِ الحالِ (المَقام)، بوصفِهِ أحَدَ الأركانِ الرَّئيسَةِ الّتي قامَ علَيها مَنهَجُه في دراسَةِ المَعنى؛ "إذ يَشمل سياقُ المَوقفِ كُلَّ ما يَقولُه المُشارِكونَ في عمليَّةِ الكلامِ وما يَسلِكونَه، ابتداءً مِن المُرسِل والوَسَطِ حتى المُرسَلِ إلَيه، بمواصَفاتِهم وتَفصيلاتِهم المُتَناهيَةِ في الصِّغَرِ، كما يُشَكِّلُ الخلفيَّةَ الثقافيَّةَ بما تَتَضَمَّنُه مِن سياقاتٍ، وخِبراتِ المُشاركين، وأشارَ فيرث إلى أنَّ كُلَّ إنسانٍ يَحمِلُ مَعَهُ ثَقافَتَه وكثيرًا مِن واقعِهِ الاجتماعي حَيثُما حَلَّ"[٣١].

وكما تَبَيَّنَ آنفًا، فإنَّ مُصطَلَحَ الحالِ الّذي أشارَ إليه البَلاغيّونَ القُدَماءُ يُرادِفُ في أغلَبِ استعمالاتِه مُصطَلَحًا آخَرَ هو المَقام، وكلٌّ مِن المُصطَلَحَينِ يُقصَدُ بِه في المَفهومِ الحَديثِ "مَجموعَةُ الاعتباراتِ والظروفِ والمُلابَساتِ الّتي تُصاحِبُ النَّشاطَ اللّغوي، ويكونُ لها تأثيرُها أو ينبغي أنْ يكون في ذلك النَّشاطِ مِن خارجِه، بحيث لا تُحَدَّدُ دلالَة الكلامِ أو تَتَجَلّى مَزاياهُ إلّا في ظِلِّها، وفي ضَوءِ ارتباطِهِ بِها".[٣٢]

ويُطلَقُ على سياقِ الحالِ أكثرَ مِن مُصطَلَحٍ، مِنها: مَسرَحُ اللّغَةِ، أو السياقُ العامّ، أو سياقُ المَوقف، أو سياقُ المَقام[٣٣].

ويُنظَرُ إلى سياقِ الحالِ على وِفق المَفهومِ السابقِ بأنَّه نَوعٌ مِن التّجريدِ مِن البيئةِ أو الوَسَطِ الّذي يَقَعُ فيه الكلامُ، ويَشمِلُ أنواعَ النّشاطِ اللّغوي جميعًا: كلامًا وكتابةً، ومِن ثَمَّ فإنَّ مَفهومَ المَقامِ يُشيرُ إلى الأساسِ الّذي تُبنى عليهِ العَلاقاتُ والأحداثُ والظروفُ الاجتماعيَّةِ الّتي تَسودُ ساعَةَ أداءِ المَقال[٣٤].

وقد عَرَّفَ تَمّامُ حَسّان المَقام بأنَّه "حصيلَةُ الظروفِ الواردَةِ، طبيعيَّةً كانَتْ أو اجتماعيَّةً أو غَيرَ ذلك في الوَقتِ الّذي تَمَّ فيه أداءُ المَقال"[٣٥]؛ أي أنَّ مَفهومَ سياقِ الحالِ يَرمي إلى الدلالَةِ على العَلاقاتِ الزّمانيَّةِ والمَكانيَّةِ الّتي يَجري فيها الكلامُ[٣٦].

يَتَّضِحُ مِمّا تَقَدَّم، أنَّ المَقامَ وسياقَ الحالِ هُما اصطلاحانِ يُشيرانِ إلى مَفهومٍ واحدٍ، وأيّ اختلافٍ بَينهما فهو اعتباري، فمَفهومُ المَقامِ يُشيرُ إلى السَّبَبِ والدّاعي إلى الكلام، بينما يُشيرُ مَفهومُ السّياقِ إلى الظروفِ والمُلابَسات الّتي أحاطَتْ بالكلامِ ودَواعيهِ، وإنْ كانَ الباحثون قد اختَلَفوا في تَحديدِ أيِّهُما أوسَعُ مِن الآخَرِ ويَشمِلُه، فإنَّ سياقَ الحالِ والمَقامَ يُشَكِّلانِ مَعًا أهَمَّ عناصرِ السياقِ الّتي تُؤخَذُ بِعَينِ الاعتبارِ عِندَ دراسَةِ المَعنى لأيِّ نَصٍّ أو خطابٍ لُغَويّ.

ب- النَّظْمُ: أدرَكَ عُلَماءُ العربيَّةِ القُدَماءُ وَظيفَةَ السياقِ ودلالَتِه؛ فَقَد رَبَطَ عبدُ القاهِرِ الجُرجانِيّ نَظريَّتَه الشَّهيرَةَ عن النَّظْمِ بِفكرَةِ السياقِ عِندَما أكَّدَ أنَّ فَصاحَةَ الكلمَةِ لا تَتَّضِحُ إلّا في سياقِها اللّغوي والتّركيبِ الّذي قِيلَتْ فيه، ورَبَطَ الكلامَ بِمَقامِ استعمالِه[٣٧]؛ فَقَد كانَ لِمَفهومِ النَّظْمِ عندَ الجُرجانيّ أهميَّةٌ كبيرَةٌ في تَحديدِ قِيمَةِ الكلمَةِ، وبَيانِ تَفاوتِ البُلَغاءِ في إنشائِهم وحَسْبَ مَقدِرتِهم وتَوفيقِهم في إحكامِ النَّظْمِ واستعمالِ وَسائِلِه في الدلالَةِ على المَعاني، فالنَّظْمُ عِندَ الجُرجانيّ هو

تلك العمليَّةُ الّتي تَظهَرُ آثارُها بوساطَةِ التَّنسيقِ بين الكلماتِ وجَعْلِها في تَتابُعٍ مُفْضٍ إلى مَعنىً يُبَيّنُ قَصدَ المُتَكَلِّمِ، ويَشمل هذا التَّتابعُ العبارَةَ والجُملَةَ والنَّصَ(٣٨).

يُشيرُ مَفهومُ النَّظمِ عند الجرجاني إلى تَعليقِ الكَلِمِ بَعضِها بِبَعضٍ وجَعْلِ بَعضِها بِسَبَبِ بَعض، يتّضِحُ ذلك مِن قَولِه: "اعلَمْ أنْ ليسَ النَّظمُ إلّا أنَّ تَضَعَ كلامَكَ الوَضعَ الّذي يَقتَضيهِ عِلمُ النَّحوِ وتَعمَلَ على قوانينِه وأصولِه، وتَعرِفُ مَناهِجَهُ الّتي نُهِجَتْ فَلا تَزيغ عَنها، وتَحفَظَ الرسومَ الّتي رُسِمَتْ لكَ فَلا تُخِلُّ بِشَيءٍ مِنها"(٣٩). ويُعَرَّفُ النَّظْمُ بأنَّه "تَأليفُ الكَلماتِ والجُمَلِ مُتَرتّبَةَ المَعاني مُتناسِبَةَ الدّلالاتِ على حَسْبِ ما يَقتَضيه العَقل، أو هي الألفاظُ المُتَرتّبَةُ المَسوقَةُ المُعتَبَرَةُ دلالَتها على ما يَقتَضيه العَقل"(٤٠). أي أنَّ نظريَّةَ النَّظْمِ عندَ الجُرجانيّ تَنطَوي على "تَمييزٍ واضحٍ بين دلالَةِ الوَضعِ ودلالَةِ السياق، أو بين دلالَةِ الكلمَةِ حالَ انفرادِها ودلالَتِها حالَ تَأليفِها، أو بينَ المَعنى الأوَّلِ والمَعنى الثاني، إلى غيرِ ذلك مِن الاصطلاحاتِ الّتي تُعَبِّرُ عن تفريقِهِ بين مُستَوَيَينِ في نُصوصٍ مُختَلفَةٍ وبأشكالٍ مُختَلِفَةٍ، وتأكيدهُ على أنَّه لا يُعنى بالأوَّلِ وإنَّما يَهمُّه الثاني؛ لأنَّه يُريدُ أنْ يَنفَذ مِن الدلالَةِ المُباشرَةِ إلى الدلالَةِ غَيرِ المُباشرَةِ، ولا يَعودُ النَّظْمُ بأيَّةِ حالٍ في مَعنى مِن مَعانيه إلى الدلالَةِ المُباشِرَةِ"(٤١)؛ وهذا ما يَتَبَيَّنُ مِن قول الجرجاني: "فلو كانَتِ الكلمَةُ إذا حَسُنَتْ حَسُنَت مِن حيث هي لَفظٌ، وإذا استَحَقَّتِ المَزيَّةَ والشَّرَفَ واستَحَقَّتْ ذلك في ذاتِها وعلى انفرادِها، دونَ أنْ يكونَ السَّبَبَ في ذلك حالٌ لها مع أخواتِها المُجاوِرَةِ لها في النَّظْمِ، لَما اختَلَفَ بها الحالُ، ولَكانَتْ إمّا أنْ تَحسُنَ أبدًا أو لا تَحسُنَ أبدًا"(٤٢).

بَيدَ أنَّ ثَمَّةَ ما يَنبغي الإشارَةُ إلَيه فيما يَتَعَلَّقُ بالفَرقِ بَين مَفهومَيّ السياقِ والنَّظمِ؛ فإذا كان السياقُ مَعنيّا بـ "الأصواتِ والكلماتِ والجُمَلِ عندما تَتابَع في حَدَثٍ كلاميٍّ مُعَيَّنٍ أو نَصٍّ لُغَويّ"(٤٣)، فإنَّ النَّظْمَ لا يختَلِفُ مَفهومُه كثيرًا عن هذا، إذ يَقصُدُ به عبدُ القاهرِ تَرتيب الألفاظِ وتَعَلُّق بَعضِها بِبَعضٍ في نَسَقٍ واحدٍ؛ يَقولُ الجُرجانيّ: "واعلم أنّكَ إذا رَجِعتَ إلى نَفسِكَ عَلِمتَ عِلمًا لا يَعتَرِضُه الشَّكُّ، أنّه لا نَظْمَ في الكَلِمِ ولا تَرتيب حَتى يُعَلَّق بَعضُها بِبَعض، ويُبنى بَعضُها على بَعض، وتَجعَل هذه بِسَبَبٍ مِن تِلك، هذا ما لا يَجهَلُهُ عاقِلٌ ولا يَخفى على أحَدٍ مِن النّاسِ"(٤٤).

يُمكنُ القول إنَّ السياقَ يَختَلِفُ عن النَّظْمِ؛ فالنظم يَبحثُ في الدلالاتِ المَعنوية الآتيةِ في مَساقٍ واحدٍ، ومَدى انسجامِها في ما بَينِها، بحيث تُشَكِّلُ قطعةً موضوعيَّةً واحدةً، ومَدى ترابطِ

المَعاني وتَتابعِها في طريقٍ واحدٍ لأجلِ الوصولِ إلى غايَةٍ مُحَدَّدَةٍ؛ أمّا السياقُ، فيَبحَثُ في ترابطِ المَعاني بألفاظِها، أي أنَّ السياقَ هو عَلاقَةُ المَعنى بالمعنى، الّتي تَتَحَدَّدُ بِعَلاقَةِ مَعنى اللّفظِ بالمَعنى الّذي يعطيه السياق، أمّا النَّظْمُ فهو عَلاقَةُ اللّفظِ بالمَعنى(٤٥)، ومع ذلك تَظَلُّ نَظَرِيَّةُ النَّظْمِ مِن أكثَرِ النَّظَرِيّاتِ اقترابًا مِن النَّظريَّةِ السياقيَّة الحديثَة.

ج- المُناسَبَة: المُناسَبَةُ في اللّغةِ: "النّونُ والسّينُ والباءُ كلمَةٌ واحدةٌ قياسُها اتصالُ شَيءٍ بشَيءٍ، ومِنهُ النَّسَبُ، سُمِّيَ لاتّصالِهِ وللاتصالِ به؛ والمُناسَبَةُ مِن المُشاكَلَةِ والمُقارَبَةِ، تقولُ: هذا شِكْلُ هذا، أي: مِثْلُهُ، وهي مَأخوذَةٌ مِن الفِعلِ (نَسَبَ): يَعني اتصال الشَّيءِ بالشَّيءِ، ومِنهُ النَّسَبُ: أي القرابَة"(٤٦)؛ وكذلك "يُقالَ: بين الشَّيئَينِ مُناسَبَةٌ وتَناسُب؛ أي: مُشاكَلَةٌ وتَشاكُل، وكذا قولُهم: لا نِسبَةَ بَينَهُما، وبَينَهُما نِسبَةٌ قَريبَةٌ"(٤٧).

قالَ الراغبُ الأصفهانيّ: "والنَّسَبُ والنّسبَةُ: اشتراكٌ مِن جِهَةِ أحَدِ الأبَوَين، وذلك ضَربان: نَسَبٌ بالطولِ؛ كالاشتراكِ بَينَ الآباءِ والأبناءِ، ونَسَبٌ بالعَرض؛ كالنِّسبَةِ بَينَ بَني الإخوَةِ وبَني الأعمام"(٤٨)؛ ويُقال: "فُلان يُناسِبُ فُلانًا؛ أي: يَقربُ مِنه ويُشاكِلُه، ومِنه النَّسيبُ الّذي هو القَريبُ المُتَّصِلُ؛ كالأخَوَين وابنِ العَمِّ ونَحوِه، وإنْ كانا مُتناسِبَين بِمَعنىً رابطٍ بَينهما، وهو القَرابَة"(٤٩)؛ والمَصدَرُ نَسَبًا، والجَمعُ مُناسَبات(٥٠). ووردَ هذا اللّفظُ بهذا المَعنى في قوله تعالى: ﴿ فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ﴾(٥١).

والمُناسَبَةُ اصطلاحًا هي: "المُقارَبةُ أو المُشاكَلَةُ والارتباطُ، ويكونُ ذلك بين الألفاظِ مِن حيث البِنيَةِ أو الدلالَة، أو بَين المَعاني الكُلِّيَةِ الحاصلَةِ مِن التَّأليفِ، أو بين الألفاظِ والسياقاتِ الّتي تَرِدُ فيها مِن حيث الشَّكل أو المَعنى". والفائدَةُ مِن المُناسَبَةِ هي "جَعْلُ أجزاءِ الكَلامِ بَعضَها آخذًا بأعناقِ بَعضٍ، فَيَقوى بذلك الارتباطُ ويَصيرُ التأليفُ حالَه حالَ البناءِ المُحكَمِ المُتلائِمِ الأجزاءِ...".(٥٢)

يَتَبَيَّنُ مِمّا سَبَق الاتصالُ الوَثيقُ بين المُناسَبَةِ والبَلاغة؛ ذلك أنَّ التَّناسُبَ يُعَدُّ مِن أهَمِّ أدواتِ البلاغة؛ فإذا كانَت المُناسَبَةُ عند البلاغيين هي تَرتيبُ المَعاني المُتآخيَةِ، فإنَّ عِلمَ التَّناسُبِ هو مَعرفَةُ علل تَرتيبِ الأجزاء(٥٣)؛ إذ يقولُ الجاحظ: "لِكُلِّ ضَربٍ مِن الحَديثِ ضَربٌ مِن اللّفظ، ولِكُلِّ نَوعٍ مِن المَعاني نَوعٌ مِن الأسماء: فالسَّخيفُ للسَّخيفِ، والخَفيفُ للخَفيف، والجَزلُ للجَزل، والإفصاحُ في مَوضعِ الإفصاح، والكنايَةُ في مَوضعِ الكناية، والاسترسالُ في مَوضعِ الاسترسال"(٥٤)، وفي قَولِ الجاحظِ هذا ما يُشيرُ إلى أهميَّةِ مُناسَبَةِ الألفاظِ مع

الأغراض، على نَحوِ ما يَقتضيه قولُ البلاغيين القُدَماء: إنَّ لِكُلِّ مَقامٍ مَقال، وضَرورَة مُطابَقَةِ الكلامِ لمُقتَضى الحال، أي أنْ يَتناسَبَ الكلامُ مع الواقعِ الّذي قِيلَ فيه، الأمرُ الّذي يُقيمُ عَلاقةً واضحةً بين المُناسَبَةِ والسياق.

مُكَوّناتُ السّياق:

يُرادُ بِمكوّناتِ السياقِ تلك العَناصرُ الّتي يَتَألَّفُ مِنها، ولا شَكَّ في أنَّ السياقَ يَتَشَكَّلُ أساسًا مِن تَتابُعِ الكلماتِ وتَناسُقِها مع بَعضِها البَعض، كما أشارَ عبدُ القاهرِ الجُرجانيّ إلى ذلك بقولِه: "إنَّ الألفاظَ المُفرَدَةَ الّتي هي أوضاعُ اللّغَةِ، لم تُوضَعْ لِتُعرَفَ مَعانيها في أنفُسِها، ولكنْ لأنْ يُضَمَّ بَعضُها إلى بَعضٍ، فَيُعرَفُ ما بَينَها مِن فوائد"(٥٥).

أي أنَّ دراسَةَ السياقِ تَتمُّ بوساطَةِ دراسَةِ المُفرَداتِ والتَّراكيبِ الّتي تَكونُ فيها، إذ لا يُعَوَّلُ على مَعاني المُفرَداتِ في حالِ انفرادِها أو انفصالِها عن السياق، ومِن ثَمَّ فإنَّ عناصرَ السياقِ تَتَمَثَّلُ أساسًا في المُفرَدَةِ والتَّركيب.

أ- المُفرَدَةُ (الكَلِمَة): المُفرَدَةُ أو الكَلِمَةُ أو اللّفظِ هي الوِحدَةُ الأساسيَّةُ لِلدلالَة دائمًا، مِن حيث "أنَّها تَكونُ أهَمُّ مُستوىً أساسٍ للوحداتِ الدلاليَّةِ، حتى عَدَّها بَعضُهم الوحدَةَ الدلاليَّةَ الصُّغرى"(٥٦)؛ فقد عَرَّفَ بلومفيدُ الكلمةَ بأنَّها "أصغَرُ صيغَةٍ حُرّة"، ومَعنى ذلك أنَّها أصغَرُ وحدَةٍ لُغَويَّةٍ يُمكِنُ النُّطق بها مَعزولَةً، كما يُمكِنُ استعمالُها لتَركيبِ جُملَةٍ أو كلام(٥٧).

تَختَلفُ دلالَةُ المُفرَدَةِ باختلافِ السياقِ الّذي تَرِدُ فيه ويَظهَرُ بوساطَتِه مَعناها، أي أنَّ مَعنى المُفرَدَةِ ليس ثابتًا على أيِّ حالٍ مِن الأحوال، بل يُمكِنُ أنْ تَدُلَّ على أكثرِ مِن مَعنىً وهي مُفرَدَة، ولكنَّها إذا وُضِعَتْ في السياقِ لا يَكونُ لَها إلّا مَعنىً واحد، ذلك أنَّ الكلامَ يَحمِلُ مَعَه قرائِنَ مَقاليَّةً لَفظيَّةً، وقرائِنَ مَقاميَّةً حاليَّةً، ما يُعَيِّنُ مَعنىً واحدًا لِكُلِّ مُفرَدَة(٥٨).

وفضلًا عن ذلك، يَرى بَعضُ روّاد النَّظريَّةِ السياقيَّةِ أنَّ الكلمَةَ المُفرَدَةَ لا مَعنى لها إنْ لم تَكُنْ مَوجودَةً في سياقٍ يُحَدِّدُ مَعناها، فالاستعمالُ يَكون أوَّلًا ثُمَّ يَأتي المَعنى مِن بعدِ ذلك(٥٩)، وذلك على أساسِ أنَّه لا يُمكِنُ الوصولُ إلى مَعنىً لأيِّ كلمَةٍ وبِشكلٍ تامٍّ إذا كانَتْ بِمَعزِلٍ عن كلماتٍ أخرى تَكونَ بِجانبِها، قَبلَها أو بَعدَها، وتَكونُ ذات صِلَةٍ بِها، وتُحَدِّدُ مَعناها(٦٠).

إلّا أنَّ التأكيدَ أهميَّةِ السياقِ في الكَشفِ عن مَعنى الكلمَةِ المُفرَدَة لا يَعني بأيِّ حالٍ مِن الأحوالِ إلغاءَ المَعنى الأساسيِّ لَها، وإنَّما المُرادُ هو القَولُ بأنَّ لِكُلِّ كَلمَةٍ قاعدَتها الأساسيَّة الّتي تَستَنِدُ إلَيها في تَحديدِ مَعناها، وأنَّ ما يَجري مِن استعمالِها في السياقِ ليس إلّا تَوظيفَها للقيامِ بِمعنىً مُحَدَّدٍ لا يُمكِنُ أنْ يَتَّضِحَ إلّا عن طَريقِ دراسَةِ سياقِ الكلماتِ؛ فالكلماتُ مِن غَيرِ السياقِ تَبدو غَيرَ ذاتِ حَياةٍ بالنسبَةِ إلى ما يُمكِنُ أنْ يَكونَ عليه مَعناها في السياقاتِ الّتي تَرِدُ فيها بِجانبِ الكلماتِ الأخرى، وهذه هي وظيفَةُ التَّركيبِ الّتي تَتَمَثَّلُ في إنشاءِ السياقِ أو جَعْلِهِ مَوجودًا بالفعل.

ب- التَّركيبُ: مِن "رَكَّبَه تَركيبًا: وَضَعَ بَعضَهُ على بَعضٍ، فتَرَكَّبَ وتَراكَبَ. تَراكَبَ السّحاب وتَراكَمَ إذا صارَ بَعضُه فَوقَ بَعض؛ أمّا المُرَكَّبُ فَيَأتي دالًّا على الأصلِ والمَنبَتِ؛ إذ تقولُ: فُلانٌ كَريمُ المَركَب، إذا أرَدْتَ بهِ كريمَ أصلِ مَنبَتِه في قَومِه"[٦١]. ويأتي التّركيبُ بِمَعنى الضَّمّ والتّأليفِ؛ فقد جاءَ في المُعجَمِ الوَسيطِ: "رَكَّبَ الشَّيءَ... ضَمَّهُ إلى غيرِه فَصارَ بِمثابَةِ الشَّيءِ الواحدِ في المَنظَرِ، ورَكَّبَ الدّواءَ ونَحوِه ألَّفَه مِن مَوادٍ مُختَلفَة[٦٢].

ويُفضَّلُ بَعضُ اللّغويين المُحدَثين استعمالَ كلمةِ التّركيبِ (Structure) الّتي يَدِلُّ اشتقاقُها التاريخي على طريقَةِ بِناءِ الشَّيءِ وإقامَتِه[٦٣].

ومِن الناحيَةِ الاصطلاحيَّةِ يَتحَدَّدُ مَفهومُ التَّركيبِ مِن طبيعَتِه الثنائيَّةِ، على نَحوِ ما أشارَ إلَيه الفراهيدي أنّ الكلمَتَين إذا رُكِّبَتا ولِكُلٍّ مِنهُما مَعنىً وحُكم، أصبحَ لهما بالتَّركيبِ حُكْمٌ جَديد[٦٤]؛ فالتَّركيبُ مُختَلِفٌ عن التَّأليفِ؛ فَضَمُّ كَلمَةٍ فأكثَرَ إلى كَلِمَةٍ أخرى هو بِخلافِ التّأليف الّذي يُشتَرَطُ فيه وقوعَ الأُلْفَةِ بين الجُزئين، أي أنَّه أخَصُّ مِنه وهو تَركيبٌ وزيادة..[٦٥]؛ والتَّرتيبُ كالتَّركيبِ، لكنْ ليس لِبَعضِ أجزائِهِ نِسبَةٌ إلى بَعضٍ، تَقَدُّمًا وتَأخُّرًا، وجَمعُ الحروفِ البسيطَةِ ونَظمها لِتكونَ كلمة[٦٦].

تَقومُ العَلاقاتُ التَّركيبيَّةُ بينَ المُفرَداتِ وتَنهَضُ على أساسٍ مِن التّبايُنِ والتّخالُفِ، يُؤَدّي إلى إنتاجِ مَلفوظاتٍ ذاتِ مَعانٍ مُفرَدَةٍ لا يَستَقيمُ الكَلامُ بها على انفرادِها مَعزولًا بَعضُها عن بَعض، وإنَّما يَستَقيمُ باجتماعِها على شَكلِ ضَمائِمَ مِن الكَلماتِ أو الوحداتِ الصّرفيَّةِ الدُّنيا[٦٧]، وهذا ما أكَّدَه عبدُ القاهرِ الجُرجانيّ في نَظريَّةِ النَّظْمِ عندَمَا رَأى أنَّ الكَلمات لا يُمكِنُ أنْ تُؤَدّي

وظائِفَها الدّلاليَّة حينَ يُعزَلُ بَعضُها عن بَعض، وألَحَّ على اجتماعَها وجَعْلِ بَعضِها بِسَبَبٍ مِن بَعض، مع تَوخّي مَعاني النّحوِ فيما بَينِها(٦٨).

وعلى أساسِ أنَّ للتَّركيب نوعين: تَركيبُ إفرادٍ وتَركيبُ إسناد، فقد يتألف تركيب الإفرادِ من كَلِمَتَينِ تُشَكّلانِ مَعًا كلمَةً واحدَةً تُؤَدّي مَعنىً واحدًا، أي أنَّ التَّركيبَ يَنقلُ المُرَكَّبَ إلى مَجالٍ دِلاليٍّ مُختَلِفٍ عن المَجالِ الدلاليّ وعن المَعاني الّتي كانَتْ تُؤَدّيها كُلُّ كلمَةٍ قَبلَ التَّركيب(٦٩).

مَفادُ ذلك، أنَّ التَّركيبَ هو ذلك التّلاؤمُ بينَ الكلماتِ بُغيَةَ الوصولِ إلى مَعنىً مُعَيَّنٍ، فهو يَتَضَمَّنُ ضَمَّ الكلماتِ بَعضِها إلى بَعضٍ بِناءً على المَعنى المَنشودِ، مع مُراعاةِ مَعاني النّحوِ وما يَتَرتَّبُ عليه مِن تَقديمٍ وتأخيرٍ وذِكْر وحَذفٍ وتَعريفٍ وتَنكيرٍ وغَيرِ ذلك(٧٠)؛ وغالبًا ما يُستَعمَلُ مُصطَلَحُ التَّركيبِ للتَّعبيرِ عن الجُملَةِ؛ فهي عِندَ بَعضِهم تُمَثِّلُ النَّمَطَ التَّركيبي نَفسَه(٧١)، إلّا أنَّ التَّركيبِ أوسَع مَجالًا مِن الجُملَةِ، إذ يَدلُّ على أنواعٍ مِن التّراكيبِ عَديدةٍ لا تَدخلُ في عِدادِ الجُملَةِ، مِثل: التَّركيبِ العَدَديّ والتَّركيبِ المَزجيّ والتَّركيبِ الإضافيّ(٧٢).

ويُؤَكِّدُ الباحثُ في هذا الشأنِ أنَّ افتقادَ التَّماسُكِ السياقيّ بينَ المُفرَداتِ الّتي يَتَأَلَّفُ مِنها السياقُ التَّركيبيّ يُؤَدّي إلى ألفاظٍ مُتَناثرَةٍ حتى وإنْ كانَتْ مُتجاوِرَةً فَلا رابطَ يَربِطُ بَينَها؛ لذا يُعَدُّ التَّركيبَ أساسًا للتَّماسُكِ وضَرورَةً لتَحقيقِ الغَرَضِ الكلاميّ، وهو إيصالُ المَعاني والدلالاتِ إلى المُتَلَقّي، ذلك أنَّ لِكُلِّ سياقٍ تَركيبًا خاصًا يَتمُّ إجراؤه على الكلماتِ المُختَلِفَةِ، والسياقُ يَكشِفُ عن العَلاقَةِ بَينَها مِن جِهةٍ، وعن المَعاني الّتي تَحمِلُها مِن جِهَةٍ أخرى.

الخاتمة :

١- يُعَدُّ التَّركيبَ أساسًا للتَّماسُكِ وضَرورَةً لتَحقيقِ الغَرَضِ الكلاميّ، وهو إيصالُ المَعاني والدلالاتِ إلى المُتَلَقّي، ذلك أنَّ لِكُلِّ سياقٍ تَركيبًا خاصًا يَتمُّ إجراؤه على الكلماتِ المُختَلِفَةِ، والسياقُ يَكشِفُ عن العَلاقَةِ بَينَها مِن جِهةٍ، وعن المَعاني الّتي تَحمِلُها مِن جِهَةٍ أخرى.

٢-التَّركيبَ هو ذلك التّلاؤمُ بينَ الكلماتِ بُغيَةَ الوصولِ إلى مَعنىً مُعَيَّنٍ، فهو يَتَضَمَّنُ ضَمَّ الكلماتِ بَعضِها إلى بَعضٍ بِناءً على المَعنى المَنشودِ، مع مُراعاةِ مَعاني النّحوِ وما يَتَرتَّبُ عليه مِن تَقديمٍ وتأخيرٍ وذِكْرٍ وحَذفٍ وتَعريفٍ وتَنكيرٍ وغَيرِ ذلك.

٣-تَقومُ العَلاقاتُ التَّركيبيَّةُ بينَ المُفرَداتِ وتَنهَضُ على أساسٍ مِن التّبايُنِ والتّخالُفِ، يُؤَدّي إلى إنتاجِ مَلفوظاتٍ ذاتِ مَعانٍ مُفرَدَةٍ لا يَستَقيمُ الكَلامُ بها على انفرادِها مَعزولًا بَعضُها عن بَعض، وإنَّما يَستَقيمُ باجتماعِها على شَكلِ ضَمائِمَ مِن الكَلماتِ أو الوحداتِ الصّرفيَّةِ.

The Context
Concept and Dimensions
An Extracted Research Paper from a Doctoral Dissertation
PhD Candidate Omar Awad
(.Prof. Ibrahim Rahman Hamid (Ph.D
University of Diyala - College of Education for Humanities

Abstract

Linguistics today constitutes a wide field for research and study of linguistic issues, whether in terms of which the participants and components of the discourse appear, or in terms of the circumstances and situations that can surround the context and affect the accompanying linguistic performance. The term of context emerges in this field as one of the central terms in the field of linguistic research. As the linguistic meaning of a individual word or phrase does not appear at any linguistic level (phonetic, morphological, syntactic, lexical, semantic) except through its contextual distinction from its counterparts that can be identified in that context.

الهوامش

(١) معجم مقاييس اللغة: ١١٧/٣.

(٢) (ق)، الآية: ٢١.

(٣) لسان العرب: ٢٤٧/١١.

(٤) أساس البلاغة: ٣٧٥.

(٥) جمهرة اللغة: ٨٥٣/٢.

(٦) المعجم الوسيط: ٤٨٢/١.

(٧) دلالة السياق: ٤١.

(٨) يُنظر: السياق والنص الشعري- من البنية إلى القراءة: ٢٨.

(٩) يُنظر: دراسة المعنى عند الأصوليين: ١١.

(١٠) يُنظر: دور الكلمة في اللغة: ٦٨.

(١١) السياق والنص الشعري- من البنية إلى القراءة: ٣١ – ٣٢.

(١٢) يُنظر: علم الدلالة: ٦٩.

(١٣) يُنظر: مدخل إلى اللسانيات: ٧٨.

(١٤) علم النص ونظرية الترجمة: ٢٩.

(١٥) معجم علم اللغة النظري: ١٥٦.

(١٦) البيان في روائع القرآن: ٢٢١.

(١٧) علم الدلالة: ١٥٧.

(١٨) الخطاب الشرعي وطرق استثماره: ١٤٦.

(١٩) يُنظر: دور الكلمة في اللغة: ٦٨.

(٢٠) محاضرات في اللسانيات: ٤٦١.

(٢١) أنماط السياق ودلالاته في القصيدة الشعبية المنجزة في الموصل– الزهيري أنموذجًا: ١٧٦.

(٢٢) يُنظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٠ – ٢١.

(٢٣) يُنظر: علم اللغة الاجتماعي: ٩٧.

(٢٤) يُنظر: الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري: ٤٣٦.

(٢٥) المحصول في علم أصول الفقه: ٢٣٢/١.

(٢٦) يُنظر: البرهان في علوم القرآن: ١٣/١.

(٢٧) يُنظر: سياق الحال في كتاب سيبويه دراسة نحوية دلالية: أسعد خلف عبد جابر العوادري، أطروحة دكتوراه، جامعة بابل، العراق، ٢٠١٠م: ٣٢.

(٢٨) يُنظر: علم اللغة الاجتماعي: ٦٦.

(٢٩) يُنظر: علم اللغة – مقدمة للقارئ العربي: ١٢٣.

(٣٠) يُنظر: مناهج البحث في اللغة: ٢٤٣.

(٣١) علم اللسانيات الحديثة – نظم التحكم وقواعد البيانات: ٥٤٣.

(٣٢) علم المعاني في المورث البلاغي تأصيل وتقييم: ١٢ – ١٣.

(٣٣) يُنظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٠ – ٢١.

(٣٤) يُنظر: علم اللغة – مقدمة للقارئ العربي: ٣١٠.

(٣٥) يُنظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٤١.

(٣٦) يُنظر: مبادئ اللسانيات: ٢٩٨.

[٣٧] يُنظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٣٣٧.

[٣٨] يُنظر: دراسة المعنى عند الأصوليين: ٢٤٤.

[٣٩] دلائل الإعجاز: ٨١.

[٤٠] التعريفات: ١٦٧.

[٤١] دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة: ١٩٦.

[٤٢] دلائل الإعجاز: ٥٥.

[٤٣] الكلمة دراسة لغوية معجمية: ٩٥.

[٤٤] دلائل الإعجاز: ٥٥.

[٤٥] يُنظر: دلالة السياق في النص القرآني: ٣٧.

[٤٦] معجم مقاييس اللغة: ٤٢٢/٥ – ٤٢٣.

[٤٧] تاج العروس في جواهر القاموس: ٢٦٥/٤.

[٤٨] المفردات في غريب القرآن: ٨٠١/١.

[٤٩] البرهان في علوم القرآن: ٣٥/١.

[٥٠] المعجم العربي الأساسي: ١١٨٨.

[٥١] الفرقان، الآية: ٥٤.

[٥٢] المناسبة في القرآن: ١٥ – ١٩.

[٥٣] يُنظر: المعجم المفصل في علوم البلاغة: ٤٣٠/٦.

[٥٤] الحيوان: ١٧/٣.

[٥٥] دلائل الإعجاز: ٥٩٣.

[٥٦] علم الدلالة: ٣٣.

[٥٧] يُنظر: الكلمة دراسة لغوية معجمية: ١٦.

[٥٨] يُنظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٣٩.

[٥٩] يُنظر: علم الدلالة: ٧٢.

[٦٠] يُنظر: اللغة والمعنى والسياق: ٨٣.

[٦١] لسان العرب: ٤٣٢/١.

[٦٢] المعجم الوسيط: ٣٨١/١.

[٦٣] يُنظر: أسس علم اللغة: ٢٠.

[٦٤] يُنظر: فقه اللغة المقارن: ٤٦.

[٦٥] يُنظر: شرح كتاب الحدود في النحو: ٧٦.

[٦٦] يُنظر: التعريفات: ٩٨.

[٦٧] يُنظر: مبادئ في اللسانيات العامة: ٣٠.

[٦٨] يُنظر: دلائل الإعجاز: ٥٥.

[٦٩] ينظر: النحو والدلالة – مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي: ٩٥ – ٩٦.

[٧٠] يُنظر: بين الأسلوبية الحديثة والبلاغة العربية: ٨٢.

[٧١] يُنظر: البيان في روائع القرآن: ٥٦.

[٧٢] يُنظر: مبادئ في اللسانيات: ١٠١.

قائمة المصادر والمراجع

- القران الكريم

أساس البلاغة: محمود بن عمر جار الله الزمخشري، تحقيق، محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط١، ١٩٩٨م.

- أسس علم اللغة: ماريو باي، ترجمة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط٢، ١٩٨٣م.
- أصول تراثية في اللسانيات الحديثة: كريم زكي حسام الدين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة– مصر، ط٣، ٢٠٠١م.
- أنماط السياق ودلالاته في القصيدة الشعبية المنجزة في الموصل– الزهيري أنموذجًا: على أحمد محمد العبيدي، مجلة دراسات موصلية، العدد (٤٣)، يناير ٢٠١٤م.
- البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي، تحقيق، محمد أبو الفضل، دار التراث، القاهرة– مصر، (د. ت).
- البيان في روائع القرآن: تمام حسّان، عالم الكتب للطباعة والنشر، القاهرة– مصر، ط٢، ٢٠٠٠م.
- بين الأسلوبية الحديثة والبلاغة العربية: محمود جاد الرب، عامر للطباعة والنشر، المنصورة– مصر، ط١، ١٩٩٣م.

- تاج العروس في جواهر القاموس: محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيدي، تحقيق، عبد المنعم الطحاوي، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ١٩٧٤م.
- التعريفات: علي بن محمد الشريف الجرجاني، تحقيق ودراسة، محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، بدون سنة النشر.
- جمهرة اللغة: أبو بكر محمد الحسن بن دريد الأزدي البصري، تحقيق: داوود عبده، بيروت، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، (د. ت).
- الخطاب الشرعي وطرق استثماره: إدريس حمادي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، ط١، ١٩٩٤م.
- دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة: سعيد حسن بحيري، مكتبة الآداب، القاهرة- مصر، ط١،٢٠٠٥م.
- دراسة المعنى عند الأصوليين: طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعية للطباعة والنشر، القاهرة- مصر، ١٩٩٧م.
- دلالة السياق: ردة بن ضيف الله الطلحي، منشورات جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ٢٠٠٥م.
- دلالة السياق في النص القرآني: علي حميد خضير، الأكاديمية العربية في الدنمارك، الدنمارك، ٢٠١٤م.
- دلائل الإعجاز في علم المعاني: عبد القاهر الجرجاني، صححه وعلَّق عليه، محمد عبده ومحمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.
- دور الكلمة في اللغة: ستيفن أولمان، ترجمة، كمال محمد بشر، مكتبة الشباب الطليعة، القاهرة- مصر، ط١، ١٩٧٥م.
- سياق الحال في كتاب سيبويه دراسة نحوية دلالية: أسعد خلف عبد جابر العوادري، أطروحة دكتوراه، جامعة بابل، العراق، ٢٠١٠م
- السياق والنص الشعري- من البنية إلى القراءة: علي آيت أوشان، دار الثقافة، الدار البيضاء- المغرب، ط١، ٢٠٠٠م.
- شرح كتاب الحدود في النحو: عبد الله بن أحمد الفاكهي النحويّ المكي، تحقيق: أحمد الدميري، مكتبة وهبة، القاهرة- مصر، ط٢، ١٩٩٣م.

- الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري: صلاح الدين زرال، الدار العربية للعلوم- ناشرون، بيروت- لبنان، ٢٠٠٨م. الحديثة - نظم التحكم وقواعد.
- علم اللغة- مقدمة للقارئ العربي: محمود السعران، دار الفكر العربي، القاهرة- مصر، ط٢، ١٩٩٧م.
- علم الدلالة مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة- مصر، ط٥، ١٩٩٨م.
- علم اللسانيات الحديثة- نظم التحكم وقواعد البيانات: عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ٢٠٠٢م.
- علم اللغة الاجتماعي: كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة- مصر، ١٩٩٨م.
- علم المعاني في المورث البلاغي تأصيل وتقييم: حسن طبل، مكتبة الإيمان، المنصورة- مصر، ط ٣، ٢٠٠٤م.
- علم النص ونظرية الترجمة: يوسف نور عوض، دار الثقة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط١، ١٩٩٠م.
- فقه اللغة المقارن: إبراهيم السّامرائي، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط٤، ١٩٨٧م.
- الكلمة دراسة لغوية معجمية: حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية- مصر، ط٢، ١٩٩٨م.
- لسان العرب: جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٧م.
- اللغة العربية معناها ومبناها: تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء- المغرب، ١٩٩٤م.
- مبادئ في اللسانيات: خولة طالب الإبراهيمي، دار القصبة للنشر، الجزائر، ٢٠٠٠م.
- اللغة والمعنى والسياق: جون لاينز، ترجمة: عباس صادق عبد الوهاب، مراجعة: يوئيل عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد- العراق، ١٩٨٧م.

- مبادئ اللسانيات: أحمد محمد قدور، دار الفكر، دمشق- سوريا، ط٣، ٢٠٠٨م.
- مبادئ في اللسانيات العامة: أندري مارتني، ترجمة: زبير سعدي، سلسلة العلم والمعرفة، دار الآفاق، الأبيار- الجزائر، ١٩٩٩م.
- محاضرات في اللسانيات: فوزي حسين الشايب، منشورات وزارة الثقافة الاردنية، عمان- الأردن، ١٩٩٩م.
- المحصول في علم أصول الفقه: فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي، تحقيق: طه جابر العلواني، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط٢، ١٩٩٢م.
- مدخل الى اللسانيات: محمد محمد يونس علي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٤م.
- المعجم العربي الأساسي: مجموعة من كبار اللغويين، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، لاروس للطباعة والنشر، باريس- فرنسا، ١٩٨٩م.
- المعجم المفصل في علوم البلاغة: إنعام عكاوي دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٩٩٢م.
- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.
- المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم بن حسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني تـ(٥٠٢هـ)، تحقيق، صفوان عدنان الدوادي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.
- مناهج البحث في اللغة: تمام حسان، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة- مصر، ١٩٩٠.
- النحو والدلالة- مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي: محمد حماسة عبداللطيف، دار الشروق، القاهرة- مصر، ط١، ٢٠٠٠م.
- Longman Dictionary of Language Teaching & Applied Linguistics, Richards, Jack C, Platt, John and Platt, Heidi, (3rd impression), Longman group UK Limited, London, 1993.